مجلة (لغة – كلام) تصدرعن مخبراللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 10/ العدد: 01- جانفي (2024)

تاريخ الاستلام: 2023/09/10 تاريخ القبول: 2024/01/16 تاريخ النشر: 2024/01/21

سيميائية العنوان في ديوان ''رجل التبن يحرس الحقول الصفراء'' لعبد القادر رابحي

محمد قحام [1]
Mohammed.gueham@univ-biskra.dz
مخبروحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها
جامعة محمد خيضر/ الجزائر

عبد القادر رحيم [2]
a.rahim@univ-biskra.dz
جامعة محمد خيضر/ الجزائر

The semiotics of the title in the poetry book "Rajul Al-tibn yahrus Al-huqul Al-safra" by Abdelkader Rabhi

Mohammed Gueham [1]
Mohammed.gueham@univ-biskra.dz
University of Mohamed Khider/Algeria

Abdelkader rahim[2]
a.rahim@univ-biskra.dz
University of Mohamed Khider/Algeria

[1] المؤلف المرسل: محمد قحام

مُلخّص البحث

يعــدُّ العنــوان مــن أهــم عتبــات الــنص الرئيســة وأشــدّها غوايــةً وإغــراءً، لطبيعتــه التحريضــية الاســتفزازية، وكثافتــه الدلاليــة المكتنِزة بنظــام إشــاري ســيميائي معرفي، يضــع القــارئ في حيــرةٍ ووابــلٍ مــن الأســئلة المختلفــة، ســرعان مــا تُقحمُــه في عــوالم الــنص، في رغبــة عارمــة منــه، ليفــكّ شــفراته، ويفــتح مغاليقــه، ويســبح في أعماقــه بغيــة استكشــاف مكنوناتــه ودرره وصــدفاته. وعليــه فــإن هــذه الورقــة البحثيــة تهدف إلى الخوض في إغواءات العنونة في ديوان "رجل التبن يحرس الحقول الصفراء" لعبد القادر رابحي، والحفر في دلالاتها التي تختزل فضاءات النصوص.

الكلمات المفتاحية: عتبة العنوان؛ إغواء؛ سيمياء ؛ رجل التبن يحرس الحقول الصفراء؛ عبد القادر رابحي.

ABSTRACT:

The title is one of the most important main thresholds of the text and the most tempting and seductive , due to its provocative and enticing nature, and its semantic density compactly with a semiotic cognitive indicative system, which puts the reader at a loss and a barrage of various questions, quickly inserting him into the worlds of the text, in an overwhelming desire from him, to decipher his codes, open his shutters, and dive in its depths in order to explore its hidden essences , pearls and shells. Therefore, this research paper aims to delve into the temptations of the title in AbdelkaderRabhi's "Rajul Al-tibnYahrus Al-hukoul Al-safrae", and to dig into its connotations that reduce the spaces of texts.

Key words : Title threshold, Seduction, Semiotics, Rajul Al-tibnYahrus Al-hukoul Al-safrae, Abdelkader Rabhi

1. مقدمة:

مع مجيء الدراسات السيميائية المعاصرة أُميط اللِّثام عن اهتمام جديد في حقل النقد، ألا وهو "عتبات النص"؛ المتمثلة في النصوص الموازية، وكل ما يحيط بالنص من عناوين (فردية وداخلية)، ومقدمات، وإهداءات، وهوامش...التي تعدّ مفتاحا لمغاليق النصوص، وسبر أغوارها.

ويعدّ العنوان من بين كل هذه العتبات العتبةَ الرئيسةَ لولوج أعماق النص، واستكناه مدلولاته، وفكّ شفراته، وذلك راجعٌ لطبيعته التحريضية الاستفزازية، إذ لا يلبث أن يغوي القارئ ويغريه عبر خطابات مكثفة تُنصب له خصّيصا، تحتّم عليه المرور بها قبل أن يطأ أرض النص (المتن)، من خلال دغدغتها لمخيّلته وفق نظام سيميائي (مكتنز بالعلامات السيميائية) إشاري (يُلمّح ولا يُصرّح) إيحائي (تسوده الغرابة والانزياحات الدلالية) معرفي (متعلِّقٍ بالكاتب).

إن الرموز والدلالات التي ينطوي عليها العنوان لتدعو القارئ/المتلقي إلى طرح مجموعة من الأسئلة، التي تُشعلُ الفتيل الأول للقراءة، والدخول في لعبة تأويلية لا نهائية، وفق ما يسمى بتجدّد المعاني وتعدّدها، تدفعه في إغواءٍ وبطريقةٍ إغرائيةٍ إلى اقتفاء أجوبةِ الأسئلةِ التي تجول في ذهنه في متن النص.

وانطلاقا من هذا، ارتأينا الخوض في هذه الورقة البحثية التي تتغيا البحثَ في عتبة العنوان، وإغواءاتها للمتلقي في ديوان "رجل التبن يحرس الحقول الصفراء" لعبد القادر رابحي، والحفر في الأدوات والوسائل التي يتوسّل بها الشاعر في صياغاته لعناوينه.

لكنْ،ونحن نخوض غمار هذا البحث تعترضنا إشكالية مفادها: إلى أيّ مدى استطاع عبد القادر رابحي اختزال نصوصه في عتبة العنوان؟ ومتى يكون العنوان عتبة تفتحُ مغاليق النص؟ وما هي الأدوات والآليات التي يطوّعها الشاعر في سبيل ذلك لإغواء المتلقي؟

وقد اعتمدنا في كل هذا على المنهج السيميائي الأنسب والأقدر على تفجير دلالات العناوين، وإبراز جمالياتها، مدعَّما بالمنهج التأويلي والوصفي والإحصائي.

2. التنوّع العنو اني وجمالياته في ديوان "رجل التبن يحرس الحقول الصفراء":

تتنوّع العناوين الرابحية في هذه المجموعة الشعرية، وتتباين فيما بينها، فنجد عناوين مركبة، وعناوين مفردة. يتسم فيها كل عنوان بخصائصه وجمالياته، ومساهمته الكبرى في توجيه المتلقي لفعل القراءة والتأويل.

1.2 وقوفٌ عند عتبة العنوان:

لقد جاء عنوان مدونتنا؛ ديوان الشاعر الجزائري عبد القادر رابحي عنوانا مركبا، موسوما ب "رجل التبن يحرس الحقول الصفراء. إن هذا العنوان المركب الطويل نوعا ما، الذي يتشكّل من خمسة كلمات، ليستوقف القارئ ويستلفت نظره؛ ذلك لأنه "عنصر رئيس ومهم، إذ لا يمكن تجاهله وإغفاله، فقد يحمل في طياته وثناياه دلالات إضافية من الممكن أن تنير لنا عتمة النص، وتكشف لنا عن دلالاته، فهو جزء رئيس من البناء الكلي للقصيدة ويعطينا إضاءات لا غنى عنها في الولوج إلى مغاليق النص، فالعناوين تواجه المعنى، وتكشف بعض ملامح الغموض في العمل الشعري".[1].حيث نلمس تداخلا كبيرا، واندماجا لافتا بين الإنسان والطبيعة، فنرى الشاعر يؤنسن الجامد فيطلق على "الفزاعة" التي تُنصب في الحقول لتخويف وطرد الطيور والوحوش لفظةَ "رجل" التي تحيل على شيء عاقل وهو "الإنسان"، بل ويسند لهذا الكائن الجامد الثابت -الذي صنعه الإنسان بحد ذاته-أفعال الإنسان وصفاته التي يختص بها، وهو ما يتبدّى لنا في الشطر الثاني من عنوان الديوان حينما يسند إليه فعل حراسة الحقول الصفراء. ويتجلى أكثر بصورة مكثفة في متن القصيدة.

ضمّ هذا الديوان ثمانية عشر قصيدة متمثلة في:

_رجل التبن يحرس الحقول الصفراء.

_سمكة اليوتوب المجمدة تعود إلى الحياة.

_كماليات.

_أربعة محلات للكراء.

_تبريكات.

_للجدار هشاشة البنّاء.

_تداعيات.

_أتعمد المرور على بيت القمر.

_حدّ الغبار زاد الانتقال من رقم إلى رقم.

_سينبت لك قرنان من العاج النادر.

_لا حديقة لي(هذه ليست قصيدة).

_كيف لي أن أشرب.

_ما دلّهم عليه إلا قصيدته.

_الجبن.

_صباح الحرية أيتها الحرية.

_مجرد نمل عابر.

_حرف شديد البياض.

_رثاء متأخر لأخي.

يستفتح الشاعر هذه المجموعة الشعرية بقصيدة تحمل نفس عنوان الديوان؛ ما يعني أن عبد القادر رابحي قد انتخبه من جملة العناوين عنوانًا رئيسا لهذا الديوان، ليغدو النص هو العنوان، والعنوان هو النص في حد ذاته، إذ عنوان الديوان يعكس النص، والنص يعكس هو الآخر الديوان في علاقة جدلية مرآوية، يعكس فيها كلٌّ منهما الآخر.

2.2 العناوين المركبة والعناوين المفردة وعلاقتها بالعنوان الرئيس:

وتتوزّع القصائد في هذه المجموعة الشعرية وتتنوع منسابة خلف العنوان الرئيس ما بين عناوين مفردة (كماليات، تبريكات، تداعيات، الجبن)، وعناوين مركبة (رجل التبن يحرس الحقول الصفراء، سمكة اليوتوب المجمدة تعود إلى الحياة، أربعة محلات للكراء، للجدار هشاشة البنّاء، أتعمّد المرور على بيت القمر، حدّ الغبار زاد الانتقال من رقم إلى رقم، سينبت لك قرنان من العاج النادر، لاحديقة لي(هذه ليست قصيدة)، كيف لي أن أشرب، ما دلّهم عليه إلا قصيدته، صباح الحرية أيتها الحرية، مجرد نمل عابر، حرف شديد البياض، رثاء متأخر لأخي).

تتوارد الحقول الدلالية في قصائد هذه المجموعة الشعرية وتتباين، لكننا نلمس حضورا لافتا في جلّها للحقل الدلالي الوارد في العنوان الرئيس المتمثل في "الطبيعة" من خلال (الحقول الصفراء، رجل التبن)، حيث "يتحرك العنوان بين التبليغ والامتناع، بين الإظهار والحجب، وبذلك يقتنص العنوان قارئه، ويضعه على تخوم النص"[2]، فنلفي الشاعر يوظّف -مثلا- في قصيدة "سمكة اليوتوب المجمدة تعود إلى الحياة" عناصر الطبيعة مثل: الأشجار، الأنهار، البحر، الجبل، الأرض البور، النخلة، الورق الأصفر، الوردة، قمح الحقول. وفي قصيدة "أربعة محلات للكراء" يوظف: الصحراء، حمامات، حديقة، شجرة اللوز، تزهر، الثلج. وفي قصيدة "تبريكات" نلفيه يستعمل: البحر، الأزهار، الجليد... فرغم أن القصائد متنوعة، وتنفتح نصوصها على احتمالات ودلالات متعددة متباينة إلا أن الشاعر يستعير الحقل الدلالي نفسه الذي قام بتوظيفه في العنوان الرئيس للديوان.

إن عنوان الديوان الرئيس على بساطته ليحمل داخله كثافة في المعنى، إذ ينفخ الشاعر فيه روح ديوان كامل، فيستحيل إلى نواة، تتفرع عنها كل البنى والدلالات، فمتلقي الديوان يحسّ بوشائج وخيوط

رفيعة تربط النصوص بعضها ببعض. وبقراءة سيميائية نجد أن عنوان الديوان "رجل التبن يحرس الحقول الصفراء" وتحديدا دلالة اللون الأصفر الذي يوحي بنوع من النضج واقتراب ساعة الحصاد والانتهاء، والموت المتمثل هنا في اقتراب قطع سنابل القمح وحصادها كونها أصبحت صفراء. ولعل هذا ما يمكن ربطه بالقصيدة الأخيرة من الديوان التي تحمل عنوان "رثاء متأخر لأخي"، الذي يحمل دلالات الانتهاء والموت، لتكون هذه القصيدة مغلاقا وقُفلا لما استُفتِح به.

3. خرق اللغة في العنونة أو المرايا المُكثِّفة للمعنى:

من الظواهر اللافتة في العنونة الرابحية خرقُه للغة، عن طريق الانزياحاتوالعُدولات التي يوظفها في صياغة عناوينه. والتناصات التي تشكل في تداخلها مع العنوان لوحة فسيفسائية مغرية.

1.3 الانزياح:

يتجلى الانزياح في العنوان الرئيس "رجل التبن يحرس الحقول الصفراء"؛ حيث يحوي في ثناياه "استعارة مكنية"، إذ أسند الشاعر للفزّاعة -رجل التبن- فعلا إنسانيا، فشبّهه بإنسان عاقل يمارس فعل حراسة الحقول الصفراء التي أوكلت إليه، وحذف المشبه به وترك قرينة تدل عليها وهي "يحرس". فالشاعر هنا انزاح عن استعمالات اللغة العادية والاعتيادية، وعدل عنها إلى لغة شعرية شاعرية مضمخة بالجمال الفني الفائق، ضاربا بالتركيبات اللغوية المألوفة عرض الحائط، وهو ما يطلق عليه "تزفيتان تودوروف" باللحن المبرّر[3]، المتمثل هنا تحديدا باستعمال الشاعر لخاصية تشخيص الموجودات الجامدة، حيث جعل من الفزاعة رجلا، بالإضافة إلى تجسيد المجردات، ونفخ الروح والحيوية في الجمادات، من خلال منحها صفات إنسانية، وأسناد أفعال إنسانية إليها، والمتمثلة في العنوان من خلال أسناد الشاعر لفعل الحراسة لرجل التبن.

ومثال ذلك أيضا عنوان "صباح الحرية أيتها الحرية"، حيث نقل الشاعر الحرية من عالم المجردات والتجريد المعنوي إلى عالم التجسيد الحسي، وذلك عن طريق "التصوير التجسيمي المبني على تجسيم المدركات الذهنية أو الحسية في صورة كائنات محسوسة جامدة أو حية"[4]، وهو ما يتجلى في مخاطبته إياها، وإلقائه التحية عليها، جاعلا منها متلقيا ومخاطبا إنسانيا يسمع ويعقل، مصبغًا عليها بذلك صفات إنسانية.

وهو ما ينطبق أيضا على عنوان "حرف شديد البياض" أين حاول الشاعر أن ينتهك المألوف ويجعل من الحرف المجرّد كائنا حسيا يحمل صفة البياض الشديد، وهو ما يمكن أيضا تأويله بأن الشاعر يدعو إلى السلام، وأن حرفه مسالم يحاول نشر السلم، وينشد عالما أبيض لا يخالطه دنس ولا أدران.

ونلحظ أيضا بأن الشاعر قد جعل للقمر بيتا، والذي يعتبر أمرا لم نألفه، ولا وجود له، وفوق هذا فهو يرتاده ويتعمّد المرور عليه على حد تعبيره في عنوان "أتعمّد المرور على بيت القمر"، منزاحا بذلك عما اعتاده الناس من تعبيرات، بغية جذبهم وإثارتهم، محققا بذلك الغرابة الفنية التي تؤدي إلى الدهشة.

2.3 استراتيجية التناص:

وفي ظلال العنونة، والمرايا التي تكثِّف المعنى تطفو على سطح بعض العناوين جمالية أخرى من الجماليات، ألا وهي جمالية التناص، هذا الأخير الذي سجّل حضوره في عناوين "رجل التبن يحرس الحقول الصفراء" الداخلية، متمثلا بوضوح في عنوان "ما دلّهم عليه إلا قصيدته"، الذي يعتبر تناصا دينيا مع القرآن الكريم في آية موت سليمان عليه السلام، "ما دلّهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته"[5]، حيث يستحضر الشاعر هاهنا دابة الأرض التي دلّت القوم على موت سليمان عليه السلام بعد أن أكلت منسأته حتى خرّ ساقطا، ويقارب هذه الصورة على أن قصيدة فلان هي التي تدلّ عليه، لخصوصيتها وتميزها وتفرّدها.

4. في ظِلال العنونة الرابحية وسماتها:

تتسم العنونة الرابحية بجملة من الخصائص التي تحضر في عناوين الديوان، التي يمكننا إجمالها في محاولة عبد القادر رابحي محاكاة الصيغ المناسباتية سواءً صيغ الفرح، أو صيغ الحزن، وجنوحه إلى استعارة كل ما يحيط به في واقعه الاجتماعي، وحياته اليومية، وتوظيفه في عناوينه ونصوصه، إضافة إلى نزوعه إلى إضفاء مسحة تأملية وفلسفية على عنونته للنصوص.

1.4 شيوع عناوين المناسبات:

نلمح في هذه المجموعة الشعرية حضورا مميزا لعناوينَ تتضمن إشارة واضحة لمناسبة ما، هاته الأخيرة يبدو أنها هي من دفعت به لكتابة تلك القصيدة باعتبارها باعثا خارجيا يرتبط بالشاعر بشكل أو بآخر. فنلفي هذه المناسبة مفرحة تارة؛ تتعلق بعيد النحر، التي جعلت الشاعر ينفث تبريكاته في كلمات وعبارات ساحرة أنيقة، تزهو بجمال صورها في قصيدة عنونها "تبريكات"، قدّم من خلالها تبريكاته للبيوت التعيسة، وللمرضى في المستشفيات، وغرف العمليات، وللأزهار النائمة في جليد العمر، ورصد فيها أجواء العيد بلغة شعرية طافحة بالجمال والعبق الشعري.

وفي مقابل هذا نلفي هذه المناسبة محزنة مكلومة من خلال رثائه لأخيه الذي فارق الحياة، في قصيدة بعنوان "رثاء متأخر لأخي"؛ التي رشها بحزنه الكبير لفراق أخيه الذي رحل في غفلة دامسة.

2.4 شيوع عناوين التأمل والفلسفة:

إن مما يلحظ في عناوين ديوان "رجل التبن يحرس الحقول الصفراء" نزوعُ الشاعر نحو العنونة الموحية بشيء من التأمل والفلسفة، والمتغلغلة في النظرة الذهنية والمنطقية، فنجده يتأمل في "سمكة اليوتوب المجمدة تعود إلى الحياة"، ملتقطا لنا بعض الصور والرؤى التي تنبئ عن تأمل عميق، وفلسفة راسخة حكيمة. وهذا ما يتجلى في العنوان الموسوم ب"للجدار هشاشة البنّاء"، وعنوان "صباح الحرية أيتها الحرية"، و"تداعيات"، التي تحمل عدة دلالات تكشف لنا مدى نظرة الشاعر الثاقبة والعميقة للحياة وفهمه لها، التي لا يلقّاها إلا جرّبوا وذو حظ عظيم، ينثر من خلالها أفكاره، ويقدّم بعض رؤاه الفلسفية التي استخلصها من الحياة في نبرة حكيمة مباشرة حينا كما في "صباح الحرية أيتها الحرية"، و"تداعيات"، و"الجبن"، وتلميحية حينا آخر من خلال الاستعانة بتراكيب لغوية وتصويرية موغلة في العمق مثلما هو الحال مع عنوان "للجدار هشاشة البنّاء".

3.4 اغتراف العنوان من الحياة الاجتماعية:

بلغ الشاعر عبد القادر رابحي شأوا في استمداده من الواقع الاجتماعي ومظاهر الحياة اليومية لصياغة عناوينه في ديوانه "رجل التبن يحرس الحقول الصفراء". وذلك ما يندرج فيما يمكن عدّه من باب تقريب الشعر والفن والأدب من الحياة اليومية العامة، من خلال تناول مواضيع يومية بمعجم يغترف من مظاهر الحياة العامة والمجتمع، ومن كل ما يحيط بالشاعر من دون تقييد أو تعيين، ويقول في هذا الشأن عباس محمود العقاد عن ديوانه "عابر سبيل"، الذي حاول تمثّل هذه الدعوة من خلاله: "وعلى هذا الوجه يرى عابر السبيل شعرا في كل مكان إذا أراد: يراه في البيت الذي يسكنه، وفي الطريق الذي يعبره كل يوم، وفي الدكاكين المعروضة، وفي السيارة التي تحسب من أوات المعيشة اليومية، ولا تحسب من دواعي الفن والتخييل؛ لأنها كلها تمتزج بالحياة الإنسانية، وكل ما يمتزج بالحياة الإنسانية فهو ممتزج بالشعور، صالحٌ للتعبير"[6].

لقد اتسمت العناوين الرابحية بهذه الدعوة سواء عن وعي أم عن غير وعي، بدءً من العنوان الرئيس للديوان، حيث وظّف الشاعر الفزاعة مُطلقا عليها اسم رجل التبن، الذي يقوم بحراسة الحقول الصفراء التي تعدّ عنصرا من عناصر الطبيعة الفسيحة. إلى جانب عنوان "أتعمد المرور على بيت القمر". كما نلمس من صياغة عنوان "أربعة محلات للكراء"، و"للجدار هشاشة البنّاء"استمداده من الأبنية ومختلف المرافق العامة.

كما نجد أيضا توظيفا لبعض العناوين التي يُغترفي صياغتها من تعبيرات اجتماعية شائعة، مثل عنوان "صباح الحرية أيتها الحرية"، الذي يوحي بإلقاء التحية مع انزياح عن التحية المألوفة الاعتيادية. وهو ما يلمّح إليه أيضا عنوان "تبريكات"، الذي يدل على مناسبة ما ويستعمل في الفراح والأعياد.

5. وظائف العنوان:

تتنوع وظائف العنونة في ديوان "رجل التبن يحرس الحقول الصفراء" لعبد القادر رابحي، وتتسم بالتعدّد والتداخل، وتباينها المعتبر. ومردّ ذلك أن تعدّد المكونات البنائية للعنوان، وكثرة الأنماط التي تشكله وتسميه، بل واختلاف رؤى ومناهل المبدعين المتفاوتة[7] .وعليه فقد كشفت قراءتنا للعناوين الرابحية لهذا الديوان عن عدة وظائف نجملها في: الوظيفة التعيينية، والوظيفة الوصفية، والوظيفة الإيحائية، والوظيفة الإغرائية.

1.5 الوظيفة التعيينية:

تعدّ هذه الوظيفة المعيِّن للنص والمعرِّف له، ويطلق عليها أيضا وظيفة التسمية، كونها تسمّي العمل الإبداعي فلا يكاد يخلو منها أي عنوان، وتشترك في هذه الوظيفة "الأسامي أجمع وتصبح بمقتضاها مجرد ملفوظات، تفرق بين المؤلفات والأعمال الفنية"[8]،فهي تكاد تعكس اسمها الذي يحمل دلالات التعيين والوضع والتعريف، ومدى تحديدها للنص.

وتتجلى وظيفة التعيين في عناوين مدونتنا مع العنوان الافتتاحي "رجل التبن يحرس الحقول الصفراء" الذي يسم مضمون نصه ويعكسه بنسبة معتبرة جدا، حيث ظل وفيا مخلصا لنصه، فجاء النص بالكامل يعرّف برجل التبن (الفزاعة) وهو يحرس الحقول الصفراء، ويعيّن وظائفه ومهماته التي أوكلت إليه، وكل ما يتعلق به. وهذا غيض من فيض التعيين في القصيدة عندما يقول:

"رجل التبن

يشرب القهوة

في كافيتيريا الربيع

واقفا..

رجل التبن

لا ينحني،

لا يحب الجلوس..

فقط يتمدد عند الضرورة

لا يموت واقفا

رجل التبن

يقف ميتا.."[9]

كما نجد عنوان قصيدة "الجبن" الذي جاء مفردا مبسطا يعرّف الجبن، حيث تناول موضوع القصيدة تعريفات شعرية فنية للجبن على مدار سبعة وعشرين (27) مقطعا شعريا، كل مقطع تتصدّرهمفردة "الجبن" المعنية بالتعيين والتقديم، وهو ما ساهم بشكل كبير في بروز هذه الوظيفة التعيينية، وطغيانها على العنوان الذي نجح في اللعبة الجدلية مع النص، ليغدو النص هو العنوان، والعنوان هو النص نفسه.

إضافة إلى هذا، تكتسب كذلك قصيدة "ما دلّهم عليه إلا قصيدته" الوظيفة التعيينية نظرا لطبيعة موضوعها الذي طرح فيه الشاعر تعييناته للقصيدة والشاعروتعريفهُ لهما انطلاقا من خلفياته المعرفية والفكرية والفنية، وقد بدت وظيفة التعيين هنا ساطعة وفي أوجّ توهجها. انظر إليه وهو يقول بأنّ:

"الشاعر

متخلِّف بطبعه

أمام القصيدة

...

القصيدة

أسراب خيول..

لغة السجّاد العتيق

تدغدغ قلب العاشق

...

القصيدة

صورة الكون

في مرآة اللغة.."[10]

2.5 الوظيفة الوصفية:

تعدّ هذه الوظيفة من أهم وظائف التواصل التي لا غنى عنها، لما تحققه من براجماتية، تتلخص في سعي العنوان الحثيث من ورائها إلى استدراج القارئ من خلال منحه فكرة عامة عن الديوان أو القصيدة بإبراز ما يزخر به من جماليات فنية ساحرة وعذبة. إنها تلك الوظيفة التي يقول العنوان عن طريقها شيئا عن النص وصفا وشرحا، وتفسيرا وتأويلا وتوضيحا، وهي أساس تأويل العنوان ومفتاحه على حد تعبير إمبرتو إيكو[11].

والوظيفة الوصفية تتداخل مع نظيرتها التعيينية وتتقارب من حيث وسمُها المباشر لمضمون النص أو جزء منه، ما "يجعل التمييز بينهما أمرا يتطلب كثيرا من الدقة والحذر، إذ لا يمكن للقارئ الفصل بينهما إلا باتّكائه على النص، فالنص هو الفيصل والحكم بين هذه العناوين"[12]. وللتمثيل على هذا نضرب مثالا بالعنوان الرئيس "رجل التبن يحرس الحقول الصفراء" الذي تتداخل فيه الوظيفتان بشكل ملفت؛ حيث تتجلى الوصفية في اللون الأصفر للحقول، وحراسة رجل التبن لها، الذي تسمه القصيدة أيما وسم، مثل:

"لباس أنيق،

ونظرة ثاقبة..

رجل من طينة الكبار..

عيناه قاطعتان

رجل التبن الأعمى

...

متّكئا على منساته

رجل التبن

يتأمّل السنابل المنحنية"[13]

ونلاحظ أيضا أن قصيدة "حرف شديد البياض" تتدثّر بهذه الوظيفة الوصفية، إذ يصف الشاعر الحرف بالبياض الشديد، ويوغل في وصف الحرف ويكرّس ذلك في القصيدة حينما يقول:

"حديث مريب

ودعوة إلى الصمت

في حضرة الحرف النائم..

لقد تجاوز الشعرَ..

ذلك الحرفُ النازفُفي اعتراضات المسافة..

ثمة حرفٌ هاربٌ

من صدإ المرحلة

يريد أن يحتمي بكَ.."[14]

3.5 الوظيفة الإيحائية: (الدلالية الضمنية المصاحبة)

وتأتي هذه الوظيفة غالبا مُصاحِبة للوظيفة الوصفية، وتتميز في كونها تبثّ من توجهات الكاتب وأفكاره في نصه عن طريق الإيحاء والتلميح بلا تعيين ولا وصف، بواسطة ألفاظ وتراكيب حسّاسة تدغدغ القارئ فتجعله يستشعر موضوع النص ونوعه[15].

لقد ثبت وجود هذه الوظيفة في عناوين بعض القصائد على غرار عنوان "تبريكات"، الذي يوحي للقارئ بأن الشاعر بصدد أن يقدم تبريكاته لشخص أو شيء ما لمناسبة مفرحة، وهذا ما يدعّمه نص القصيدة عند سبر أغوارها، حيث يجد القارئ الشاعر يتغافر مع الكائنات والأشياء في عيد النحر، فيقول:

"عيدك مبارك سعيد

أيها البيت الأتعس..

...

في غرفة العمليات

يقول الرجل الواقف:

عيدك سعيد أيها المخدّر..

...

عيدك مبارك سعيد..

أيتها الأزهار النائمة

في جليد العمر.."[16]

وأما عنوان "ما دلّهم عليه إلا قصيدته" فهو الآخر يحمل الكثير من الإيحاء ويلمّح إلى أن الشاعر سيتحدث عن القصيدة والشعر والشعراء، وهو ما كان بالفعل، حيث جاءت القصيدة منذ البداية تعريفا للشاعر والقصيدة من وجهة نظر الكاتب، تسير وفق نمط واحد وخط فني واحد.

وأما عنوان "صباح الحرية أيتها الحرية" فيشي بحسب الألفاظ الموظفة بأن الشاعر بصدد طرق موضوع فكري فلسفي، فالعنوان بحد ذاته نلمس تضمنه لدلالات تحيل على التأمل والتفلسف والتفكّر، وهو ما سعى عبد القادر لطرحه من خلال نشره وبثّه لمفهومه عن الحرية التي تحتاج هي نفسها إلى تحرّر، فما أدراك بالذين يعتقدون الحرية. فالشاعر في هذا العنوان يخاطب الحرية ويلقي عليها تحيةَ حريةٍ، إيحاءً وتلميحا منه إلى أننا نتوهّم الحرية، وبعبارة أدق: أننا أحرار مستعبدون، أحرار بقدر ما يسمح لنا ويملى علينا. وهو ما حاول الشاعر تكريسه في هذه القصيدة، وبأننا تحت مظلة حرية مراقَبَةٍ.

4.5 الوظيفة الإغرائية: (التأثيرية، التسويقية)

تعدّ هذه الوظيفة من أهم وظائف العنونة وأبرزها، تُوجّه إلى المتلقي، وتروم إغراءه، وجذب اهتمامه، من خلال انتخاب عناوين تحريضية مستفزة، وانتخاب الأشد غواية وإغراءً، القادرةِ على إثارة حفيظة المتلقي ودغدغة فضوله، وهو ما يتم عبر تجويد صياغة العنوان فنيا، وإبراز جمالياته الفنية، ذلك أن العنوان المغري المغوي هو أفضل سمسار للنص[17].

إن الشاعر عبد القادر رابحي في هذا الديوان يدغدغ المتلقي دغدغة من خلال عناوينه، تدفعه لقراءة نصوصه واستهلاكها واستكشاف مكنوناتها ودررها في لذة عارمة. وبما أن هذه الوظيفة الإغرائية تعد من أهم ما يطمح إليه الكاتب لبثه ونثره في نصوصه وعناوينه فقد ألفينا الشاعر يختار من العناوين ما هو فاتن يطير بالألباب، ويسيل للقارئ اللعاب، على شاكلة "أتعمّد المرور على بيت القمر"، ليدخل المتلقي في عالم التأويل والخيال، ويرغب في استكشاف هذا البيت، ثم إنه قبل ذلك يتساءل: هل للقمر بيت؟ كيف سيكون هذا المرور؟ هل هو على براق الكلمات؟ ليتراكم سيل من الأسئلة الملتهبة في ذهن المتلقي تدفعه حتما للاطلاع وقراءة النص كاملا ليسبر أغواره، ويستكنه مخبوءه. والأمر نفسه مع عنوان "ما دلّهم عليه إلا قصيدته"، و"للجدار هشاشة البنّاء".

أما عنوان "أربعة محلات للكراء" فهو عنوان إغرائي ترويجي تسويقي بامتياز، فمتلقي هذا العنوان يستفسر مباشرة عند تلقيه عن نوع هذه المحلات، وحجمها، وعن موقعها، وعن ثمن الكراء وباقي التفاصيل المتعلقة بذلك، أم أن ما يقصده الشاعر شيء مغاير تماما، لتغدو القصيدة بهذا بمثابة إعلان تجاري يستهدف إشهار المنتج، وترويجه بين المتلقين، من خلال إغوائهم به، وفتح شهيتهم وإثارتهم لاستهلاكه[18].

6. خاتمة:

وصفوة القول أن عتبة العنوان في مجموعة "رجل التبن يحرس الحقول الصفراء" الشعرية للشاعر الجزائري عبد القادر رابحي كانت نِعم المُعين على فك شفرات النص، وفتح مغاليقه، وبالتالي فهمنا للنص. وقد خلصنا في دراستنا هاته إلى نتائجَ أهمها:

_يعدّ العنوان العتبة الأولى الرئيسة، ومفتاح القارئ الذي يعينه على فتح مغاليق النص، والولوج إلى أعماقه، وإضاءة المناطق المعتمة فيه عبر لعبة التأويل، والمعنى المتجدّد.

_العنوان خطاب جدلي مرآوي للنص، مكثّف دلاليا، وسهمٌ يخز المتلقي وفق نظام إشاري سيميائي معرفي معين.

_اغتراف العناوين الرابحية من معطيات الواقع الاجتماعي، والحياة اليومية العامة، وارتباطُها بزمن وروح العصر.

_جنوح الشاعر إلى خرق اللغة؛ بالاعتماد على المجاز والصور الخيالية لغواية المتلقي، وإضفاءً للمسحة الجمالية على العناوين.

_تنوّع وظائف العنونة الرابحية وتباينها ما بين وظيفةٍ تعيينيةٍ، ووظيفة وصفية، ووظيفة إيحائية، ووظيفة إغرائية تسويقية.

7. الهوامش

[1] عاصم أمين بني عامر، لغة التضاد في شعر أمل دنقل، ط1، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2005، ص134.

[2] خالد حسين، سيمياء العنوان: القوة والدلالة "النمور في اليوم العاشر" لزكريا ثامر، مجلة جامعة دمشق، قسم اللغة العربية، م21، ع3و4، 2005، ص355.

[3] عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، ط3، الدار العربية للكتاب، د.ب، د.ت، ص 82.

[4] محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج1، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999، ص252.

[5] القرآن الكريم، سورة سبأ، الآية 14.

[6] عباس محمود العقاد، عابر سبيل، د.ط، دار نهضة مصر، القاهرة، 1997، ص5.

[7] ينظر: سامي بن عبد العزيز العجلان، إغواء العتبة "عنوان القصيدة وأسئلة النقد"، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت-لبنان، 2015، ص365.

[8] بسام قطوس، سيمياء العنوان، ط1 وزارة الثقافة، الأردن، 2001، ص 50.

[9] عبد القادر رابحي، رجل التبن يحرس الحقول الصفراء، ط1، دار ضمة للنشر والتوزيع، المسيلة، 2020، ص7، 9.

[10] عبد القادر رابحي، رجل التبن يحرس الحقول الصفراء، ص101، 102، 105.

[11] ينظر: عبد الحق بلعابد، عتبات "جيرار جنيت من النص إلى المناص"، د.ط، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007، ص87.

[12] عبد القادر رحيم، علم العنونة -دراسة تطبيقية-، ط1، دار التكوين، دمشق، سوريا، 2010، ص226.

[13] عبد القادر رابحي، رجل التبن يحرس الحقول الصفراء، المصدر السابق: ص7، 8.

[14] المصدر نفسه، ص131، 133، 135.

[15] عبد القادر رحيم، علم العنونة، ص230.

[16] عبد القادر رابحي، رجل التبن يحرس الحقول الصفراء، ص43، 44، 45.

[17] ينظر: خالد حسين، شؤون العلامات من التشفير إلى التأويل، ط1، دار التكوين، دمشق، 2008، ص47.

[18] ينظر: عبد الله الغذامي، ثقافة الأسئلة، ط1، النادي الأدبي الثقافي، جدة، 1992، ص48.

8. قائمة المراجع:

القرآن الكريم

1. سيمياء العنوان، بسام قطوس، 2001، وزارة الثقافة، ط01، الأردن.
2. شؤون العلامات من التشفير إلى التأويل، خالد حسين، ،2008، دار التكوين، ط01، دمشق.
3. إغواء العتبة "عنوان القصيدة وأسئلة النقد"، سامي بن عبد العزيز العجلان، 2015، مؤسسة الانتشار العربي، ط01، بيروت-لبنان.
4. لغة التضاد في شعر أمل دنقل، عاصم أمين بني عامر، 2005، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ط01 عمان.
5. عابر سبيل، عباس محمود العقاد، 1997، دار نهضة مصر، د.ط، القاهرة.
6. ثقافة الأسئلة، عبد الله الغدامي، 1992، النادي الأدبي الثقافي، ط01، جدة.
7. عتبات "جيرار جنيت من النص إلى المناص"، عبد الحق بلعابد، 2007 ، منشورات الاختلاف، د.ط، الجزائر.
8. الأسلوب والأسلوبية، عبد السلام المسدي، د.ت، الدار العربية للكتاب، ط3، د.ب.
9. رجل التبن يحرس الحقول الصفراء، عبد القادر رابحي، 2020، دار ضمة للنشر والتوزيع، ط01، المسيلة.
10. علم العنونة -دراسة تطبيقية-، عبد القادر رحيم، 2010، دار التكوين، ط01، سوريا.
11. المعجم المفصل في الأدب، محمد التوجني، 1999، ج1، دار الكتب العلمية، ط01، بيروت.
12. سيمياء العنوان: القوة والدلالة "النمور في اليوم العاشر" لزكريا ثامر، خالد حسين، 2005، مجلة جامعة دمشق، م21، ،ع3 و4، ص355